Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أ ـ الإنسان الكامل نسخة ومثال وظل:

إن ما جاء في الكتب المقدسة وفي تراث الإنسانية يؤكد الرمزية الكونية للشجرة، لذلك اتخذت قديماً وحديثاً لتبليغ رسائل معينة كما فعل ابن الخطيب وكما يفعل أصحاب «مشروع تنمية العوالم الأربعة». وعليه، فإنه لم يبق لنا إلا أن نبين كيفية رعاية فرع الشجرة الذي سيكون ولياً بمعنيين للولاية: الولاية الصوفية، والولاية الدنيوية.

لقد وضع ابن الخطيب برنامجاً لتكوين الصوفي الولي، ولكننا عن طريق المماثلة والمشابهة سنجعل تطابقاً بين الولي الدنيوي والولي الصوفي. فقد سعى إلى تكوين المتصوف المتخلق سواء أكان يأكل الطعام ويمشي بين الناس ويتعامل معهم في الأسواق أم كان إنساناً كاملاً هو نسخة ومثال وظل.

يبدأ البرنامج برياضة النفس اللوامة، وأول مراحل المرتاض الجذبة وهي الأخذ عن النفس والاشتغال بالله انقطاعاً مع توفر العقل ومداومة الاجتهاد في التعبد ثم اليقظة الناتجة عن الوعظ البليغ المؤثر، فالتوبة بشروطها ودرجاتها وعلاج ما يحصل أثناءها من أمراض ويتْبعها الرَّجاءُ ثم تعلم العلم دون استغراق فيه، ويبدأ بالواجب علمه كعلم كلمتي الإخلاص والإيمان بالجنة والنار والحشر، ويهيىء نفسه للقيام بالأركان الخمسة كما هي مبسوطة في كتب الفقه وبعض مسائل علم الكلام وما يضطر إليه في العبادات والمعاملات من الفقه، ومعرفة بعض النحو واللغة، وحفظ بعض المفصل ومعرفة تأويل بعض الآيات.

وبعد هذا يبعد عنه أصولاً مفسدة من قدم العالم، ومن أن الله لا يعلم الجزئيات، ومن الاتحاد والحلول والكسب والجبر والقدر والتناسخ والإبَاحة وإزالة الأخلاق الذميمة الناتجة من النفوس السبعية والبهيمية والشيطانية، وإحلال أضدادها محلها، وأمهاتها أرْبعٌ: الحكمة والشجاعة والعفة والعدل؛ ومن اعتدال هذه الأمهات تصدر الأخلاق الحميدة كلها، ومن انحرافها تصدر الأخلاق الذميمة، ويمكن أن يعالج الأخلاق الذميمة طبيب على خلق عظيم مرشد فاضل عالم بالعلوم الثلاثة: الشريعة والطريقة والحقيقة، ويعالجه بالذكر، وبالمجاهدات البَدَنيَّة والنفسية من خلوة وصمت وجوع وسهر، وفي حالة عدم وجود المعلم المرشد يعرض المريض نفسه على خلق القرآن ومسطورات حسن الخلق والاستعانة بصديق حسن الخلق غير فاسق ولا مبتدع ولا حريص على الدنيا.